

الأستاذة: نادية بوجلال

جامعة الجزائر 2

ما بعد الإنسانية وهاجس الموت بين رافض ومؤيد

مقدمة:

ما بعد الانسانيه تكاد تكون بإجماع الفلاسفة والمفكرين هي حركة فكرية فضفاضة اتخذت من الانسان منطلقا لها وعلاقته بالتطور التكنولوجي وما تقدمه من فرص تعزيز حالة الانسان والكائن البشري وهذا التطور التكنولوجي هو في حقيقة الأمر تكاثف مجموعة من التكنولوجيات الراهنة كالهندسة الوراثية، وتكنولوجيا المعلومات، والتقنيات المستقبلية مثل تكنولوجيا النانو الجزيئية والذكاء الاصطناعي.

وتمتد جميع هذه التقنيات أو التكنولوجيات لتعزيز الكائن البشري لصحة الانسان تروم القضاء على المرض والألم والشيخوخة لتطيل العمر من جهة وتقهر الموت فتحقق الخلود من جهة ثانية إضافة إلى زيادة القدرات العقلية والجسدية والعاطفية للإنسان وما يستتبع ذلك من موضوعات كاستعمار الفضاء وإنشاء آلات فائقة الذكاء وما بإمكانه تغيير وضعية الانسان بتجاوز الطب وأدواته الى المجتمع والاقتصاد والثقافة والمهن وغيرها.

وما بعد الإنسانية مرحلة تتوخى فيها الهندسة الوراثية تحسين حياة البشر بالاعتماد على التكنولوجيا الى جانب أهداف أخرى تصب في التطور الجسدي والبيولوجي والعقلي مما يجعلنا نذهب الى القول ان هذه المرحلة وان كان الطب من أكبر خصائصها وأهدافها فليديها أهداف أخرى كالتحكم في الجينات الوراثية التي تعمل على زيادة معدل الذكاء والقضاء على الأمراض وإطالة العمر وقهر الموت. فهل يتحقق لها ذلك؟ وما هي جملة المخاوف التي تعترض الإنسان؟ وهل المشاريع الطبية والتكنولوجية لا تطال طبيعته الانسانية وحياته البشرية البيولوجية والمعنوية ولماذا ينقسم المفكرون بين رافض ومؤيد؟ ولماذا يستوقفهم سؤال الموت كهاجس والخلود كغاية في مرحلة ما بعد الإنسانية وما علاقته بها؟ أسئلة لا بد ان تكون لها أجوبة ووجهات نظر تفرزها سلسلة من الأفكار.

يشير مصطلح عالم ما بعد الإنسانية إلى عملية تحسين نوعية الحياة السرية من خلال تدخلات تكنولوجية حيوية تتضمن عدة علوم ومعارف منها السيبرنيتيكا والعلاج الجيني

والذكاء الاصطناعي. ولكن هذه القفزة وان اعتبرها البعض نقطة فاصلة في التاريخ البشري فالبعض اعتبرها انحدار نحو الزوال وإنها تحد جلبته الحداثة الإنسانية وجب طرح العديد من الأسئلة. الأول الفلسفية والدينية والاخلاقية خاصة ما تعلق بفكرة الخلود والموت وهي من اهم المواضيع التي يدور حولها النقاش والجدل في أعمال حركة ما بعد الإنسانية.¹

وقبل الخوض في هذا السؤال علينا اولاً ان نجيب على اشكالية محورية وهي:

هل يؤثر تطور التكنولوجيات على التطور البيولوجي وهل ستخضع أشكال الحياة للتطور ومبدأ الانتقاء الطبيعي أم ان الانتقاء الطبيعي في حد ذاته فقد مركزه نتيجة التكنولوجيا التي باتت توجه التطور البيولوجي؟

حقيقة أن التطور على مستوى أشكال الحياة المختلفة مازال يحكمها، ولكنه لم يعد خاضعاً للانتقاء الطبيعي، بل انتقاء تتحكم فيه الآلة والتقنية فهور تطور اصطناعي بواسطة التعزيزات الجذرية على الكائن الإنساني بهدف تطوير قدرات الانسان العقلية والنفسية، بتكاثف العلوم البيولوجية والرقمية والذكاء الاصطناعي

ما بعد الإنسانية الدلالة والمفهوم: POSTE HUMANISME

تيار فكري يدرس العلاقة بين الانسان والتكنولوجيا الحديثة ومستقبلها الذي سيغير في تركيب الانسان وعاداته وطبيعته اما transhumanisme فقد استعملت لمقابل للإنسان الانتقائية وقد كانت مرحلة انتقالية لما بعد الإنسانية ظهرت على يد الفيلسوف الألماني بيترسلوتر دايك لكن طغى المصطلح واتخذ مفهوم ما بعد الإنسانية بمعنى الإنسان المعزز المتجاوز للإنسان البيولوجي الحالي حيث يمتزج ما هو بيولوجي وما هو اصطناعي بنية الوصول الى انسان يهزم الامراض والعاهات والموت (الانسان إله او الهوبودايوس).

ولقد انقسم العلماء والمفكرون بين رافض ومؤيد للاندماج الكلي بين الانسان والآلة (الذكاء الاصطناعي) وفي مقدمتهم رايكورزويل، إلون موسك ونيك بوستروم فأطلق الأول مفهوم لحظة التفرد وهي لحظة تجاوز الذكاء الاصطناعي ذكاء الانسان لحظة يصبح فيها الروبوت طبيباً وممرضاً ومحامياً، ولكن أكثر استقلالية وأفضلية.

وتنبأ أنه سيكون ذلك سنة وهدفه وهدف مشاريعه إنما هو هزيمة الموت وأما موسك فهو

وأنا موسك ق صاحب شركة صناعة منظومات جسور تفاعلية بين الدماغ والكمبيوتر فهل يمكن فعلاً أن تتحقق لحظة التفرد هذه ومتى وكيف؟ وماهي مؤشراتنا النظرية والعلمية؟ لقد

¹الخلود في الأرض؟ حركة ما بعد الإنسانية من منظور إسلامي <http://yaqeen.institute.org ;paper8>

بدأت مع اكتشاف العصبونات الاصطناعية التي تعمل بوتيرة مشابهة للعصبونات الإنسانية على الحاسوب وتستخدم هذه العصبونات الاصطناعية بشكل تحاكي فيه تفاعلها في الدماغ البشري وهي التقنية التي اخترعها أستاذ الذكاء الاصطناعي الفرنسي يان لوكون التي خولت للفيسبوك التعرف على مكونات الصور الرقمية فيلغي منها المخل بالحياء واللا أخلاقي ولكن تظل مشاريع الاندماج هذه بين هومو سابينانس والكومبيوتر وكائن بيولوجي جديد اسمه هومو ديوس مجرد حلما أو ضربا من الخيال.

ويعد نيك بوستروم من أبرز المتحمسين لما بعد الإنسانية والمدافعين عنها باعتباره أحد مؤسسي الجمعية العالمية لما بعد الإنسانية ومدير معهد مستقبل الإنسانية بجامعة أكسفورد ويرمز لهذه الحركة بالرمز + تميزا للنسخة المطورة من البشر عن البشر العاديين.

إذن فإن حركة ما بعد الإنسانية حركة دولية مهمتها استكشاف استخدام العلم والتكنولوجيا في تطوير وتعزيز القدرات الذهنية والجسدية للإنسان والقضاء على الجوانب السلبية كالمرض، والشيخوخة والموت.

أذن ما بعد الإنسانية حثيث قديم جديد للإنعتاق من أسر المحدوديات البيولوجية التي تحكم الوجود السري كالمرض والوهن والشيخوخة والموت وقد وجد الإنسان في الآونة الأخيرة وسائل التكنولوجيا المرتكز الذي من خلاله يتحقق هذا الحلم الذي ظل يراوده لأزمة طويلة.

والملفت للنظر أن ما بعد الإنسانية ليس تجاوز للكائن البشري البيولوجي بجملة من التطورات التقنية على مستوى المعارف البيولوجية والطبية فحسب أو تجاوزا لكيقونة وجوده وإنما هو تجاوز أو إعادة صياغة لمفهومه ووضع فلم يعد يحتل المركز الأول في محيطه البيولوجي وظهر مفهوم نهاية الإنسان الكلاسيكي ليحل محله مفهوم جديد وهو ما بعد الإنسانية.

الإنسانية الانتقالية: transhumanisme

ما بين الكائن البشري الكلاسيكي وما بعد إنسانية تقبع الإنسانية الانتقالية وهي أيضا تدخل تكنولوجيا وتقني يتجاوز قدرات الكائن البشري الطبيعي.

وهو ما عبر عنه كيرزويل بالكائن البشري المعزز تقنيا وقد بات هذا التصور قريب التحقق بفضل الذكاء الاصطناعي الذي يزوده بجملة من القدرات الفائقة التي يمكن أن يحوزها الكائن البشري وهي خليقة بأن تجعله يتميزا جوهريا عن الكيفية التي هو عليها حاليا وفي وقتنا الحاضر مما يستدعي تطويرا لعالمه الخارجي والداخلي (النفسي) على حد سواء يليق بكائن عابر أو انتقالي من كائن بشري طبيعي وبيولوجي²

² ما بعد الانسان.. من يوتوبيا لجلامش ألى رؤيه كير زويل التوق على اكتساب قدرات غير مسبوقة قديمة قدم النوع البشري، الخميس 27 يوليو 2019 14451 الشرق الأوسط

إن تعزيز الإنسان لبلوغ ما بعد الانسانية والانتقال به مما هو طبيعي إلى غير الطبيعي لابد أن يتقاطع مع الهوية ذلك أن التجاوز الذي يحدث على المستوى العقلي والفيزيولوجي لا يغير في هويته شيئاً ولا يقيس خصائصه الجوهرية.

إن الكثير من العلماء والفلاسفة يتخوفون من دمج التكنولوجيا بالجسم البشرى لأننا بذلك نلغي الحدود بين الطبيعي وغير الطبيعي أو الصناعي ويتخوفون من الآثار الجانبية التي تتولد عن علم الذكاء الاصطناعي وإلهامه على المستوى الشخصي والاجتماعي.

نهاية الحياة ماهي إلا الموت أو الإقتراب منه وهي النهاية التي تنتهي إليها جميعا والحقيقة الحتمية التي لا جدال حولها ويفرض علينا مشكلة أكثر حدة تحيلنا الى كائنات فاقده لإستقلاليتها وهي مشكلة الشيخوخة.

والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعي جيدا حقيقة موته وأن حياته تمر عبر مراحل تتأرجح بين الضعف والقوة والعجز والوهن وخلال هذه المراحل المختلفة وفي لحظات المرض والإعاقة والهزيمة العاطفية والإنكسارات الاجتماعية والشيخوخة يستولي هاجس الموت على تفكيرنا في أقصى صورته وإن امتلكنها في جميعها.

ولعل مشكلة نهاية الحياة هذه هي التي ولدت الحكماء والفلاسفة ودفعتهم الى التفكير في كيفية تدبير حياتهم وحياة غيرهم وقد كان البحث عن ااة السعيدة الجيدة وماهيتها هو ذلك السؤال الذي طرحه افلاطون لنا وهابرماس وهكذا يخرج هذا السؤال إلى نطاق أوسع وهو نطاق الاتيقا بما يتضمنه من بعد بيولوجي وميتافيزيقي.

كالإرادة الحرة والعدالة والخيرية أو الحريات والحقوق وما تطرحه من تساؤلات وأول هذه التساؤلات التساؤل عن الحياة ذاتها قبل الحديث عن متى وكيف تبدأ وكيف تنتهي وهل هي مجرد حدث بيولوجي أو شفرة لمشروع سيصبح قابلا للتنبؤ استطاع البيوطبي أن يسبر أغواره ويفكك وحداته والغاية القصوى تسيير الحياة وتدبيرها بمحاولة تجاوز البيولوجي والعلم الحي الى ما هو روحي.

وعليه يكون التساؤل الثاني حول الإمكانيات ما يمكن أن تقدمه العلوم والبيوتكنولوجيا للكائن الحي البشري، فالعلم وحده بإمكانه تأخير شيخوخة الإنسان وإطالة عمره بفضل الوقاية من الأمراض والأوبئة يقول كريستوف ديجايجر.

إن من الصراع الفعال ضد الشيخوخة أحد المغامرات الكبرى للعصر الجديد التي نستطيع اليوم المساهمة فيها، إننا نستفيد الآن من أدوات ناجعة شيئاً فشيئاً ضرورة لفهم هذه الظاهرة، أن معارف الشيخوخة في البيولوجيا.

وفي الطب عرفت تطورا سريعا منذ سنوات لقد كان الاعتقاد عموما أن الكائن الحي يلج الشيخوخة بين 50 سنة، والحقيقة أكثر تعقيدا، فالشيخوخة تبدأ من 18 مهمة من ناحية من ناحية الانظمة الفيزيولوجية وتتطور بحسب الجينات الوراثية للأشخاص وتاريخهم الطبي وبيئتهم.

وعدم التجانس الفيزيولوجي هو أحد العوامل الأكثر رسوخا في مجتمع المسنين مما حتم ضرورة النظر إلى بدايتها من سن الخمسين تحت زوايا متعددة.

لقد أصبحت أن الثورة البيولوجية والطبية مسؤولة على طول عمر الإنسان والأصل في إنقلابات إجتماعية وإقتصادية وسياسية وثقافية وكمثال على ذلك التغييرات التي حدثت على مستوى منظومة العمل والتقاعد مع حتمية زيادة عمر الانسان³

هاجس الموت وما بعد الإنسانية:

ظل الإنسان منذ بداية تاريخه على هذه الأرض يجسد في أدبياته وفلسفاته وفنونه سعيا لحياة خالدة وقهر للموت المحتوم، وتستمر هذه الأفكار تداعب عقله لتبدو في غايات ما بعد الإنسانية التي تهدف إلى إنسان لا يعاني من قصر العمر والأمراض والشيخوخة وينتهي وجوده بالموت، لكن هذه الآمال والتحديات مازالت بعيدة المنال فقهر الموت اقتصر على إطالة الحياة وتأجيل الشيخوخة بالقضاء على جملة من الأمراض والعوارض. يقول ناثانيل ما نسعى إليه في الوقت الحاضر هو بدلا من أن تموت وأنت على مشارف الثمانين من عمرك ممددا على سرير المرض، وموصلا بأنابيب القسطرة ومصاب بخلل عقلي ما ستموت ولكن في عامك المئة في ملعب التنس بينما تفوز في المباراة أو في سيناريو آخر ستكون مقتولا على يد شريك حياتك لأنه يغار عليك⁴.

ما بعد الإنسانية الى موت الموت:

من أعتى المفكرين الذين نظروا لما بعد الإنسانية والذين أصبح المستقبل موضوعا لديهم الطبيب والعالم رولان ألكسندر الذي اشتغل على التكنولوجيات والذكاء الاصطناعي إلى جانب الطب وحمل شعار مستقبل لن يكون للموت فيه الكلمة الأخيرة.

³ A les techniques de lette conte le vieillissement, Christophe de

feeser, PUF, Paris 2013, PP 3-4

⁴ عالم في التقنية الحيوية ومنكر مابع انساني 1 - على الإنسانية وما بعدها عن المسارات التطورية المحتمل للبشر، فادي منا 18/19/2018

أنشأ شركة دوكتيسيمو كاتب ومؤلف روايات وناشط سياسي ناقش العديد من الموضوعات الراهنة مثل علوم الكمبيوتر وعلم الوراثة وتكنولوجيا النانو.

يرى ألكسندر أننا نعيش مرحلة ما بعد الإنسانية ولقد تم ولوجنا فيها بداية القرن الواحد وعشرون فنحن ما بعد البشر لقد زاد متوسط أعمارنا لدينا أدوية فعالة لأمراض كثيرة ونستعمل الأطراف والأسنان الصناعية والصمامات وتزرع لنا الأعضاء كالكلية والكبد والقلب والعيون وكلها لمحاربة عيوبنا الجسدية بل بدأت قيل ذلك باختراع النظارات لتحسين الرؤيا وفي الطب المعزز تجمعت الأدوية الجديدة والتقنيات العلاجية لتعزيز القدرات البشرية وتعد بالانتصار على الموت.

ينتقد ألكسندر فوكوياما ما جاء في كتابه نهاية الانسان فعلى الرغم من إيمانه بقدوم هذه الإنسانية الجديدة لكنه يحذر من التقنيات التي ستغير من البشرية ويخشى العواقب السياسية لهذه الثورة فهو يؤكد على انتصار ما بعد الإنسانية وينصح بالقلق منها بل يذهب الى أبعد من ذلك وينادي باستعمال السلاح من طرف البيولوجيين المحافظين لحماية البشرية من تجاوزات العلم والتقنية.⁵

في حين يرى لوران ألكسندر أن الكلمة الأخيرة ستكون للتقنية وأنها ستغير لا محالة علاقتنا بالأشياء وبأنفسنا وبالتالي بالموت لأنها ستقضي عليه نهائيا وحينها سيصبح الموت الرحيم لا يحتاج لكل هذه الضجة والتساؤلات.

يحيلنا لوران إلى مسألة الذكاء الاصطناعي وما بعد الإنسانية بأوسع مجالاتها ويتساءل هل يمكن أن نكون متسامحين معها وهل المستقبل الذي تعدنا به مثمر فعلا وهل يمكن أن نضعها في خدمة البيئة.

يبدو أنه متفائل وواعي حين يقرر أن التكنولوجيا لا تستطيع أن تداوي أوجاع جميع الإنسانية، ولكنها تدعونا إلى استعمال أمثل وعقلاني لهذه الأخيرة.

كما أن استعمال التكنولوجيا اليوم يحتم علينا توجيه الإنسانية وجهة مختلفة تماما تتوافق مع تصورنا للمستقبل.

⁵ ما بعد الإنسانية مقابل المحافظيين البيولوجيين لورونس ألكسندر بتاريخ 2007 2012 العدد 35
فيفري 2012 مجلة les trebunes de la santé

خاتمة:

يبدو من خلال ما عرض من أفكار أن ما بعد الإنسانية مهما كانت معانيها وما أثارته من جدل ونقاش تبقى ترسخ لذلك الحلم الذي ظل يراود الإنسان منذ القدم جسده بداية في أساطيره وفنونه وأشعاره ومنحوتاته استعارة لقدرات خارقة وتشبه بقوة و ذكاء عوضته اليوم الألة والتكنولوجيا والعلوم كالهندسة الوراثية والتعديل الجيني وكل من يساهم في تعزيز القدرات البشرية لكن يشكل هذا في نظر البعض خطرا على الطبيعة البشرية وبين تلك الخصائص الجوهرية للكائن الإنساني وهذا ما شكل مفصل اختلاف بين الفلاسفة والمفكرين فانقسموا بين طامح للتغيير وتحقيق طول العمر وإطالة الحياة و قهر الموت وبين مكثف بالطبيعة كما هي رافضا لإنسان نصفه إله.

